القربان البشري عند شعوب الشرق القديمة

(شبه الجزيرة العربية – الشام – بلاد الرافدين)

اعمار عبد القادر الكيلاني*

مقدمة

عرفت الضحايا البشرية قبل أن يحل الساميون بوادي الرافدين وبقاع الهلال الخصيب، وبقيت إلى حد ما بعد ذلك بزمن طويل، فقد وجد الملوك في أور وقد دفنوا وبجوارهم حاشيتهم، وليس هناك ما يدل على أنهم ماتوا مرغمين، فلا يوجد أي أثر للذبح أو الخنق أو القتل العنيف[1] وقد بقيت التضحية البشرية إلى ما بعد أيام موسى، حيث جاء في الإصحاح الثاني والعشرين في سفر الخروج إذ حرم على بني إسرائيل أن يقدموا أبكار أبنائهم قرباناً إلى الله[2]، كذلك جاء في الإصحاح العشرين من سفر اللاويين ما يشير إلى عقوبة الرجم لمن يقدم ابنه قرباناً للرب[3].

إلا أننا نجد في الكتاب المقدس مواضع أخرى تتناقض مع ما عرضناه آنفاً، حيث يؤكد الكتاب المقدس في هذه المواضع على ضرورة التضحية بالدم سواء كان دم حيوان فداء للإنسان كما فعل إبراهيم النبي، حيث يقول الكتاب المقدس "وكل شيء تقريباً يتطهر –حسب الناموس– بالدم، بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" [4]، أو عن طريق التضحية بتيس كما شرع موسى "ويضع هارون يديه على رأس التيس ويقر عليه بكل ذنوب بني إسرائيل، وكل سيئاتهم مع خطاياهم، ويجعلها على رأس التيس... ليحمل التيس عنه كل الذنوب"[5]، أو سواء كان هذا الدم دم إنسان كما فعل يفتاح عندما نذر نذراً للرب حيث قال "إن دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب وأصعده محرقة، ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته، وإذا بابنته خارجة للقائه، وهي وحيدته، ولم يكن له ابن ولا ابنة غيرها، ففعل بها نذره الذي نذره"[6]، كذلك نجد النبي (ارميا) يؤكد في سفره أن بني إسرائيل كانوا يقدمون أطفالهم قرابين تذبح على مذبح الإله (بعل مولك) أي السيد الملك[7].

• ع. هـ. ت.، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الزيتونة.

وتجدر الإشارة إلى أن التضحية بالبشر وجدت عند الفينيقيين، حيث ضحوا بالطفل البكر، حيث تم اكتشاف عظام أطفال مودعة في أسس المنازل الخاصة بالكنعانيين، وقد احتفظ أهل فينيقية بهذه العادة، وذكر فيلور بأنه كان يضحي بأعز ولد لديهم في حال الوقوع في بعض الأخطار، وذلك لإبعاد الشرور[8]، كما روى ديودور تضحية بمائتي طفل في صقلية، كذلك تم الكشف في حفائر (كفر الجرة) وهي من المواقع الكنعانية عن صندوق يضم عظام أطفال تحت أساس جزء من سور وهي غالباً ضحية التأسيس، أيضاً تم الكشف في قرطاج عن أطلال معبد تانيت تحت الأرض عن صناديق حمراء تضم عظاماً متحجرة، وكذلك بقايا عقود وطلاسم أخرى، كما عثر أيضاً في طبقات نفس الحفائر على صناديق بها عظام حملان وماعز، وبعض عظام الأطفال لم تزد أعمارهم عن ستة أشهر، وتجدر الإشارة إلى أن أحد هذه الصناديق لا يزال محفوظاً بمتحف اللوفر[9].

إن مبدأ استرضاء الإله بالدم كان مسألة عامة عند شعوب الشرق القديمة، حيث يؤكد "ديورانت" أنه في الاحتفالات السومرية الدينية كان الكهنة يضربون أنفسهم حتى تلطخ دماؤهم المذبح، وبعضهم يفتدي ذاته بإخصاء نفسه بنفسه[10].

ومن القصص الشهيرة التي تتحدث عن التضحية بالبشر، وخاصة بالأبناء ما يروى عن (ميتسا) ملك موآب، الذي ضحى بأبنه الأكبر ليفك الحصار عن مدينته، وعندما تحقق له مطلبه قام بذبح سبعة ألاف (7000) يهودي شكر لله على ذلك [11]، ويروى أيضاً عن الإله (بعل مولك) بأنه كان مغرماً بالدماء البشرية، وعلى وجه الخصوص دماء الأطفال، حيث كان الناس يتزينون في يوم عيد بأجمل ما عندهم من ملابس وأقراط، وكانوا يقومون باحتفال كبير جداً تتعالى فيه الأصوات وتعم فيه الفوضى من كثرة الصراخ والطبول والمزامير، التي كان القصد منها هو أن تطغى تلك الأصوات والطبول والمزامير على صوت أولئك الأطفال الذين كانوا يحترقون داخل المحرقة، ولعل هذا الأمر كان يحدث في العديد من بقاع الأرض حيث حدث في قرطاجة أثناء حصارها عام 307 ق.م، عندما قام أحد ملوكها بإحراق ما يقرب من مئتي غلام من أبناء أرض الأسرى، مع الإشارة إلى أن بعض عقلاء قرطاجة في ذلك الوقت اكتفوا بالتضحية بقص غلفة ذكر الطفل وإلقائها في محرقة الإله [12].

وفي حالات أخرى كانت التضحية لا تتوقف عند الأطفال والغلمان فقط، بل نراها تتجاوز ذلك بكثير، وذلك عندما تكون الأضحية متمثلة في الملك ذاته، وهو ما كان يحدث في بعض الأحيان، فمثلاً يذكر لنا (أنيس فريحة) بأن بني إسرائيل كانوا في الكثير من الأحيان ينظرون إلى ملوكهم على أنهم هم أصحاب المسؤولية

بالدرجة الأولى على ما يحدث لهم من أزمات ومشاكل، خاصة فيما يتعلق بعملية القحط والجفاف أو أي كوارث من الممكن أن تحل بهم، حيث كانوا يقومون بتقديمهم كقربان للآلهة حتى تعفوا عنهم وتبعد عنهم تلك المصائب وتخرجهم من تلك الأزمات التي وبطبيعة فهمهم لن تزول إلا بتقدمة القربان المتمثل بالملك [13]. ولعل ما قام به الملك (شاؤول) من عمل تمثل في ذبح أولاد سلفه السبع كقربان للإله (يهوه) خير دليل على ذلك، حيث يستجيب الإله (يهوه) لشاؤول ويرفع القحط عن بلده وينزل الغيث [14].

ولو عدنا إلى بدايات البدائيين نجدهم يمارسون السحر ابتهالاً لقوى الطبيعة من أجل تأمين القوت، حيث تقوم القبيلة بالتضحية على شيخها أو ملكها باعتباره الأب الروحي للجميع، وأنه هو المسؤول عن كل ما يحل بالقبيلة من مصائب وأخطار، وكذلك عليه هو تقع مسؤولية إنقاذ القبيلة وإخراجها من تلك الأزمة أو المصيبة أو الخطر الجاثم فوقها، ومن ثم وجب تقديمه كتضحية للإله حتى تتيسر أمور القبيلة وتخصب أرضها وتكثر خيراتها[15].

ويقدم لنا روبرتسن سميث المزيد من الإيضاح حول هذه المسألة حيث يقول إنه كانت لدى الكثير من الشعوب القديمة عادة دينية سنوية، تقام زمن الاعتدال الربيعي، وتقدم خلالها القرابين للإله المسئول عن عملية الإنبات بغية الزيادة في المحصول، حيث يصف لنا روبرتسن المشهد فيقول: "فكانوا يقومون أول الأمر بصلب الملك، وبعد موته يقومون بأكل بعضاً من لحمه، وينثرون قليلاً من دمه لتكسبهم بعض قدسيته–، ثم ينشرون البقية في الأرض المهيأة للزرع، ومع مرور الزمن استعاضوا عن الملك بالاقتراع على المضحي به، ثم استبدلوا بالقرعة مجرماً محكوماً عليه بالموت، وآخر الأمر استبدلوا بكل هذا حيواناً، وحبذا لو كان خروفاً أو تيساً، وإذا صعب الأمر عليهم اكتفوا بفطيرة في صورة إنسان، أو بفطيرة مرسوم عليها إنسان، أو صليب رمزاً للإنسان المفترض أن يكون الضحية، ثم تحول هذا العمل تدريجياً إلى نوع من العشاء الرباني يؤكل فيه الخبز رمزاً للجسد، وتعاقر فيه الخمر رمزاً للدم"[16].

كذلك هناك أسطورة مازالت تعيش في عصرنا الحاضر، وهي نذر الأبناء للآلهة حتى تعيش وتسلم، حيث تذكر بعض الروايات في تفسير "فلما اتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون"[17].

إن هذه القصة وقعت لآدم وحواء إذ كان أبناؤهما يولدون مشوهين فجاء إليهما الشيطان فأوعز إلى حواء أن تسمي ما في بطنها عبدالحارث "والحارث اسم لأبليس"، ولقد كان العرب قبل الإسلام وحتى عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– ينذرون بعض أبناءهم للآلهة أو لخدمة معابد الآلهة تقرباً وزلفى إلى الله، وذلك ليعيش أبناؤهم

وتوقي الأخطار، كما يجعل الناس اليوم نصيباً في أبدان أبنائهم للأولياء والقديسين، كما أنهم لا يقومون بقص شعر الغلام لأول مرة إلا على ضريح قديس أو ولي، وكذلك بالنسبة لعملية الختان فإنها أيضاً كانت من المستحب أن تتم عند مقر أو معبد الإله، وربما لازالت آثار هذه العادات القديمة موجودة وتمارس بين الناس في بعض مجتمعاتنا إلى يومنا هذا [18].

كما أننا نجد بعض الأساطير عند الشعوب البدائية في الزمن البعيد استمرت حتى العصر الحاضر بحكم سلطان التقاليد والعادات، فأخذها الخلف من السلف دون أن يفكروا في صحتها ونفعها، فالذبيحة مثلاً في الديانات السامية العريقة أو أغلب الديانات الأخرى هي نتيجة الإيمان بالخالق، الذي له من منتجات العالم من نباتية أو حيوانية أو إنسانية، وذلك في سبيل العرفان بالشكر والجميل، من هنا جاءت فكرة تقدمة بواكير الثمار أو الحيوان، ومن هنا ارتقى الفينقيون في فكرة سامية لتقديم بواكير الأطفال، ولكن الطبيعة البشرية سرعان ما تلافت خطر هذه الكارثة بأن جعلت فدية للبكر من الأولاد [19].

هذا ما نراه في العهد الفينيقي، وخصوصاً في ملاحم أوغاريت في رأس شمرا، ونراه أيضاً في كل الديانات السامية واليهودية، يروي الانجيل عن موسى (كل ذكر فاتح رحم يقدم عنه فرخي حمام أو زوجي يمام)[20]، وهكذا افتدى السيد المسيح، وكذلك هي الحال في الديانة اليونانية، على فرق أن الديانات الموحدة ترفع الذبيحة إلى الإله الحق، أما الديانات الوثنية فإنها تزفها إلى الآلهة المتعددة المختلفة، وربما في هذا الاختلاف كان في الواقع هو الاتجاه نحو الاتفاق حول إله واحد وهو نزوع البشر نحو عملية التوحيد، وأن تختزل كل تلك الآلهة، بل وتختفي ليحل محلها إله واحد يكون كل الناس خاضعين له.

وكان معنى الضحية ولم يزل يحمل معنى الفدية التي يفتدى بها الإنسان المجتمع والوطن، وتحمل أيضاً معنى التضحية الاختيارية بالذات من أجل سلامة الجماعة كلها، وفي هذا الحال يتحول عمل الفادي في نظر الناس بعد موته إلى قمة الأعمال سمواً وقدسية، حتى أن تضحيته في كافة الأديان تقريباً ترفع عنه كل الخطايا، حتى تصل قداسته حد الملائكية ويطلق على عمله في هذه الحال (استشهاد)، بمعنى الموت أمام الجميع وهم شهود يستشهد بهم على مجد عمله وفدائه، وإذا كان هذا يحدث اليوم فلا تستغرب على أفراد العشيرة البدائية وهم يحتمون وراء الذكر الأب القوي من أحد ضواري الصحراء، أو من أي خارقة طبيعية ألمت بهم، حيث يقوم هذا الأب بالتصدي لهذا الخطر المحدق بالمجموعة أو الجماعة، حتى وأن كلفه ذلك حياته، حتى يكون عندما يموت في نظر الجميع وهم شهود على مجد عمله وبطولته، وبذلك يرفعونه بعد موته إلى منزلة عالية قد تصل في

بعض الأحيان إلى مرتبة الألوهية[21]، ولعل ما تقدمه لنا مأساة تموز أبلغ الأمثلة عندما كان البدائيون يقومون في احتفالية ذكرى موته بلطم الخدود وشق الجيوب والبكاء عليه نظراً لما كان يمثله لهم من رمز بطولي ضحى بحياته، وارتضى بالبقاء في العالم السفلي (عالم الموتى) تضحية من أجل الخصب والنماء، كما أننا نرى بأن التضحية البشرية استمرت فيما بعد حتى بعد التزاوج بين المجتمعين الزراعي والرعوي، لتداخل القرابين الزراعية بالأضاحي الرعوية، وأن تستمر تضحية الأب البدائي في الذكرى الإنسانية، التي تحولت إلى عرف مسنون يجب الوفاء به كلما حل بهم أمر جلل [22]، والملك الذي حل محل الأب بعد قيام المدن أن يقوم بهذه التضحية، باعتباره ممثل الإله، كما ضحى بذلك الأب الأول، وهو ما فعله الملك القرطاجي (هلمقار) في معركة (هيرا) التي قاتل فيها الإغريق قتالاً مستميتاً، واستمرت من الفجر حتى منتصف الليل، ومكث في معسكره يلقي بعشرات الضحايا في محرقة هائلة، ولما رأى جنوده يتقهقرون ارتمى وسط اللهب بتضحية اختيارية، وقضى نحبه فداء لمواطنيه، فبدأ مواطنوه بعد ذلك يقدمون له القرابين والضحايا تقديراً له على ذلك الفعل البطولي الذي قام به من أجلهم، وشيدوا له العديد من النصب في كافة المستعمرات القرطاجية[23].

وبالعودة إلى خمس ألاف سنة مضت، وقت نشأة المدن في الهلال الخصيب، وسيادة الذكور وتزاوج الثقافتين الرعوية الأبوية والزراعية الأمومية، تحولت احتفالات الخصب لحث الأرض على الإنتاج من إلهات الأرض، والزهرة الإناث، إلى الآلهة الذكور، فتحولت القرابين بالتالي إلى أضاحي يضحي فيها الملك بنفسه، ويبدو أن تقديم الأطفال قرباناً للنيران قد نشأ عن محاولة الملوك التهرب من هذا المصير المفزع، عندها وكطريقة للهروب من هذا المصير نشأت عادة مضاجعة الملك للكاهنة الكبرى (قاديشتو)، وذلك لإنتاج آلهة من نسله الملكي الإلهي تكون مخصصة للتضحية، وهو ما يفسر لنا قيام الملك اليهودي (داود) بشنق أبناء سلفه (شاول) السبعة لرفع القحط عن البلاد وإنزال الأمطار[24].

وهكذا أصبح إنبات الأرض واستنزال المطر، وعودة الخصب مرهونا بسفك الدماء وبالأضاحي، وهو أمر لم يزل شائعاً في بلادنا إلى اليوم حيث نلحظ في بعض المجتمعات العربية بأن الأم تقوم بتحذير طفلها بعدم الخروج وحيداً من البيت مهددة له بأنه إذا خرج وحيداً بأنه سوف يكون قرباناً يذبح على حجر طاحونة الحبوب، وذلك لأن الطاحونة في حالة توقفها فإنها لا تعود إلى العمل من جديد حسب اعتقادهم إلا إذا سكب عليها دم طفل كقربان لها[25]، ولعلنا نستشف من هذه الرواية بأنها تلقي بنا في مرآة التاريخ القديم، حيث ارتهن استمرار

دوران الطبيعة (الطاحونة) لتعطي حبوبها وزرعها بالتضحية بالدم، وهي تضحية لم تكن أبداً أصيلة في المجتمع الأمومي الزراعي، وإنما وفدت مع قدوم الرعاة، حيث أصبح تقديم الطفل الملكي الإلهي للآلهة الأم الكبرى نتيجة اقتران ثقافة المزارع القاضية بتقديم دم بكارة الأنثى في الهيكل للأم الكبرى، بثقافة الراعي التي كانت تقضي بتقديم بكر الخراف أو الملك ذاته فداء للجماعة، وربما كان الطفل الناتج عن جماع الملك الرعوي بالكاهنة الأمومية هو تراضي بتعاقد لتقديم ضريبة عوضاً عن الصراع الدموي، الذي لابد قد حدث أبان دخول الرعاة للأرض الزراعية بين أصحاب الأرض الزراعية، وبين الغزاة الرعويين.

ولعل المطلع أو المطالع للكتاب المقدس يجده لا يناءوبصفة دائمة عن ذكر الابن البكر صاحب الميراث والبركة عن أبيه، وهو ما يتفق مع اعتباره ولي العهد أو الملك أو الأب الذي يجب أن يقوم بالتضحية المطلوبة[26]، وقد ظل هذا الاعتقاد قائماً حتى اليوم، ويمارس تذكرة بالأب الفادي والشهيد الأول، وظل الخروف هو الضحية المثلى، يذبحه الرعاة المسلمون ويذبحه المسيحيون ليفطروا على لحمه بعد الصيام الأمومي النباتي الطويل.

ورغم اختلاف المجتمعات التي تحتفل بهذه المناسبة (الذبح) فإن العين الفاحصة لكل احتفال أضحوي رغم اختلاف الطوائف، ستلاحظ غلبة الطقوس القمرية على هذه المحافل، وأحياناً قام الإنسان بذبح أحد أبنائه، أو نذره للذبح كضحية لربه، وانتشر هذا الطقس انتشاراً واسعاً في وقت من الزمان، ويبدو أنه الأساس في ظاهرة الختان التي اعتبرت لدى الكثير من الباحثين ذبحاً جزئياً بديلاً عن الذبح الكلي الذي كان يمارس في غابر الأيام.

أما القرابين في المجتمع الأمومي الذي عبد ربات ولادات مخصبات في مناطق زراعية، فقد افترضنا أنها ممارسة الجنس الجماعي، وهو ما كان معمولاً به في طقوس كثير من الإلهات الإناث في حوض البحر المتوسط، حيث كان هذا النوع من القرابين يتلاءم مع نظام زراعي للخصب والميلاد، وتلعب فيه الإلهات الإناث دور الخصب والولادة ومنح الحياة، ويقوم على أساس قديم سادت فيه الأنثى التي لا تعرف رجلاً واحداً [27]، وبعد تداخل المجتمعين الرعوي الأبوي والزراعي الأمومي، وسيادة الذكور، ونشوء نظام الزواج، بدأت محاولات للتخفيف من طقس الجنس الجماعي بما يتلاءم مع الأوضاع الجديدة، كما خفف من قبل ذبح الطفل إلى عملية ختان، فتحول الطقس من جنس جماعي عام إلى فريضة يجب أن تؤديها المرأة ولو مرة واحدة على الأقل في حياتها، وهي ممارسة الجنس مع غريب، ثم تطور الأمر نحو المزيد من التخفيف، فتم تخصيص طائفة من النساء كمنذورات لمعابد الإلهات الإناث يقمن بهذه المهمة بشكل خاص بديلاً عن بقية النساء وفداء لهن، أما

النساء اللاتي لا يقمن بذلك ولا يدخلن في سلك الكهانة الجنسية فكان مفروضاً عليهن استبدال الجنس مع غريب بقص شعورهن للإلهة المعبودة[28].

وتجدر الإشارة بأن أقدم عادة سامية سواء في الجزيرة العربية أو بالشام، كانت متمثلة في التقرب بشعر الطفولة لدى الدخول في طور الرجولة، وقد كان هذا النوع من الرباط بين العبد وألهه والذي يتم عقده بتقدمة الشعر يتسم بالدوام إلا أنه من الطبيعي أن يتم تجديده من وقت لآخر، خاصة عندما يمر الإنسان بفترة يغلب عليه فيها الخوف من خطر محدق، أو أن يشعر العبد بأن ألهه لم يعد يهتم به كثيراً، عندها يستوجب على العبد أن يقوم كما كان يفعل أهل الطائف بالجزيرة العربية بحلق شعر رأسه ويقدمه للإله، خاصة عند عودة الشخص من رحلة، وذلك شعوراً منه بأن ذلك الغياب عن الموضع المقدس، ربما شابه شيئاً من التراخي، وبذلك وجب تقويته من خلال هذه التقدمة[29]، كذلك كانت تقدمة الشعر تشكل جزءاً من الطقوس الدينية في كل حج عربي، والغريب في الأمر ولعل ذلك من التأثيرات اللاحقة على الذهنية العربية أن هذه العادة لازالت تمارس إلى يومنا هذا، ولو بشكل مقنن وأكثر تنظيماً وذلك من خلال ما يقوم به الحجاج في بيت الله (مكة) في موسم الحج، وما يقومون به من حلاقة رؤوسهم سواء بشكل كلي أو حتى بالقيام بالتقصير، فهل لهذه الشعيرة علاقة بتلك الشعيرة التي كانت تمارس في تلك الأيام الخالية، خاصة إذا ما أدركنا بأن القرآن الكريم جاء في بعض مواضعه مؤكداً لبعض العادات والتقاليد والممارسات التي كان العرب قديماً يقومون بها.

وكانت مواسم الحج العربي والسرياني التي كانت ترتبط بتقدمة الشعر تعتبر طقوساً استثنائية، فكان الهدف منها في كثير من الحالات إدخال التابع في حماية إله غريب ليس لعبادته مكان في الديانة المحلية والطبيعية للحاج، وفي كل الحالات لم يكن الطقس الديني جزءاً من الفروض الدينية العادية للعابد، بل كان يتم بصورة عفوية باعتباره عملاً من قبيل الورع، أو تحت ضغط أية ظروف تجعل الحاج يشعر بالحاجة إلى التقرب إلى القوى الإلهية[30].

وتجدر الإشارة إلى أن تقدمة الشعر باعتباره قرباناً كان معمولاً به ومعروفاً عند الإغريق، حيث كانوا يتقربون بتقديم الشعر قرباناً عند النجاة من خطر كان يتهدد حياتهم، حيث كانت مسألة وقوع الإنسان في مأزق تعد من وجهة النظر القديمة دليلاً على أن القوى الإلهية التي تعتمد عليها حياته لا تبالي بما ألم به ونذيراً له بأن يوثق صلاته بالإله الذي ابتعد عنه، وتمثل تقدمة الشعر هاهنا الوسيلة الطبيعية لذلك[31].

ولا نريد بحديثنا هنا عن تقدمة الشعر بأن نشعر القارئ بأننا ابتعدنا عن صلب الموضوع، وهو التضحية البشرية، حيث نؤكد بأن هذا النوع من التقدمة أو القربان وتقدمة الشعر ما هو إلا جزء من التضحية البشرية، والتي أصبحت فيما يبدو تخفف وبشكل متدرج، وربما جاء هذا التخفيف إدراكاً من تلك العقلية البدائية بأنه أبسط وأسهل، مع ضمان تحقيق نفس الهدف الذي كان يتحقق بالقيام بتلك الأضحية الكبرى.

الخاتمة

من خلال هذا العرض لمسيرة القرابين منذ ظهورها وتعامل المجتمعات البدائية معها نستطيع أن نجمل سير هذه الظاهرة، حيث إن الإنسان وعبر مراحله التاريخية لجأ إلى تقديم القربان تارة خوفاً من غضب الآلهة وإرضاءً لها، وتارة نراه يقدم القربان كي تستمر الآلهة في منحه من خيراتها، حيث تعددت أساليب التقرب من الآلهة، ابتداءً من المحاصيل الزراعية ووصولاً إلى فلذات الأكباد حيث قام الإنسان بتسييل دماء أبنائه تقرباً للآلهة.

وفي هذا الصدد نجد الباحثين يتخذون من مسألة القرابين موقفين هما:

1- موقف يرى أن القربان بدأ بثمار النباتات، ولكي يزيد الإنسان من تملقه للآلهة قام بذبح الحيوان قرباناً لها، باعتبار أن لحم الحيوان أعلى مرتبة من النبات.

2- يرى الموقف الثاني عكس ما ذهب إليه أصحاب الرأي أو الموقف الأول، حيث إن الإنسان بدأ بالأضحية البشرية عندما كان لا يزال يصارع بدائيته الوحشية وبالتدريج الارتقائي تحول إلى الحيوان بديلاً للإنسان، وعند حاجته للحيوان استبدله بالنبات، واحتفظ بالحيوان لنفسه، وهو ما يجعلنا نتفق مع من رأى بأن الإنسان وخلال مسيرته في الحياة كان يسير في تصاعد لولبياً، حيث تارة يصعد فيقتصر على رمز النبات أو الحيوان، وأحياناً يهبط فيقدم الإنسان دمه ودم أبنائه للإله، فمثلاً نرى الباحث ول ديورانت يؤكد أن في الاحتفالات السومرية الدينية كان السومريون يضربون أنفسهم حتى تلطخ دماؤهم المذبح، بل وأن بعضهم ذهب إلى أنه كان يفتدي بذاته بإخصاء نفسه بنفسه كما ذكرنا سالفاً، كما أن عبدالحميد زايد يؤكد أيضاً على وجود التضحية البشرية، حيث إن الفينيقيين اعتادوا على التضحية بالأبن البكر.

بالإضافة إلى ذلك شمل القربان في بعض الحالات التقرب بالملوك وهو ما يعرف بالقربان الملكي، بالإضافة إلى القربان الإلهي والمتمثل في تضحية الإله بابنه المسيح، حيث قدمه كقربان ليغفر به ذنوب البشر.

هذا أحد أنواع القرابين التي كانت سائدة قديماً في المجتمعات البدائية في منطقة الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين، والتي بدأت تخفف ثم تختفي تدريجياً مع نزوع الإنسان بعقله نحو مبدأ التوحيد .

الهوامش

1. عبد الحميد زايد، الشرق الخالد،دار النهضة العربية، القاهرة، 1966، ص 412.
2. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح22.
3. المصدر نفسه، سفر اللاويين، الإصحاح 20.
4. المصدر نفسه، سفر العبرانيين، الإصحاح 9.
5. المصدر نفسه، سفر اللاويين، الإصحاح 16.
6. المصدر نفسه، سفر القضاة، الإصحاح 11.
7. نفسه، سفر ارميا، الإصحاح 9.
8. عبد الحميد زايد، مرجع سابق، ص 302.
9. E. vessel et F. Icard, lse inscription votives du tem ple de tauita carthage, P303-305.
10. ول ديورانت، قصة الحضارة، القاهرة، 1973،ص 315.
11. المرجع نفسه، ص 319.
12. المرجع نفسه، نفس الصفحة.
13. انيس فريحة ، دراسات في التاريخ، دار النهار، بيروت ،1980، ص 47.
14. الكتاب المقدس، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 21.
15. عصام الحفني، المسيح في مفهوم معاصر، دار الطليعة، بيروت، 1979، ص 89.
16. روبرتسن سميث، ديانة الساميين، ترجمة: عبدالوهاب علوب، مطابع الأهرام، القاهرة، 1997، ص 191،190.
17. سورة الأعراف، الآية 19. أيضاً سورة الإسراء، الآية 64.
18. حسين الحاج حسين، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ص 53،52.
19. المرجع نفسه، ص 12.
20. الكتاب المقدس، مصدر سابق.
21. سيد القمني، الأسطورة والتراث، سيناً للنشر، القاهرة، 1992، ص 103.
22. المرجع نفسه، ص 105.
23. جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص 105.
24. سيد القمني، الأسطورة والتراث، مرجع سابق، ص 106.
25. سيد القمني، الأسطورة والتراث، مرجع سابق، ص 106.
26. الكتاب المقدس، انجيل متى، الإصحاح 1.
27. سيد القمني، مرجع سابق، ص 113.
28. المرجع نفسه، ص 114.
29. روبرتسن سميث، مرجع سابق، ص 357.
30. المرجع نفسه، ص 358.
31. المرجع نفسه، ص 359.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. الكتاب المقدس، انجيل متى، الإصحاح 1.
3. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح22.
4. الكتاب المقدس، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 21.
5. الكتاب المقدس، سفر ارميا، الإصحاح 9.
6. روبرتسن سميث، ديانة الساميين، ترجمة: عبدالوهاب علوب، مطابع الأهرام، القاهرة، 1997.
7. ول ديورانت، قصة الحضارة، القاهرة، 1973.

ثانياً- المراجع :

أ- المراجع العربية:

1. انيس فريحة ، دراسات في التاريخ، دار النهار، بيروت ،1980.
2. جيمس فريزر، الغصن الذهبي، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982.
3. حسين الحاج حسين، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988.
4. سيد القمني، الأسطورة والتراث، سيناً للنشر، القاهرة، 1992.
5. عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966.
6. عصام الحفني، المسيح في مفهوم معاصر، دار الطليعة، بيروت، 1979.

ب - المراجع الأجنبية :

1. E. vessel et F. Icard, lse inscription votives du tem ple de tauita carthage.